الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي/ أم البواقي

كلية الآداب واللّغات **شعبة الدّراسات النّقدية**
قسم اللّغة العربية وآدابها **التخصّص نقد حديث**
ومعاصر السّداسي الأول **السّنة أولى**
ماستر/ الفوج 1+2

مقياس نظريّات النّقد السّياقي **الأستاذة: نبيلة أعبش**
طبيعة المقياس: محاضرات + تطبيقات **البريد الالكتروني:**
Nabilaabbeche@gmail.com

السّنة الجامعيّة: 2021/ 2022

مفهوم النّقد السّياقي التّاريخي ونظريّاته:

1. النّقد التّاريخي:

أ. مفهوم الأدب:

إنّ الأدب هو فنّ لغويّ جميل، تحتلّ فيه اللّغة المرتبة الأولى، لذلك لن يكون الأديب أديبا حتى يقف على أصول اللّغة وفروعها المختلفة، بدءا من المفردات اللّغوية وُصولا إلى قواعد اللّغة، نحوها وصرفها، تركيبها ودلالاتها، إلى جماليّاتها وبلاغتها، إلى تذوّقها والمتعة

بإبداعات أدبها والإلمام بفنونها وأشكالها ونظريّاتها ومدارستها، إلى القدرة على الحكم على النّص الأدبي، والاحتكام إلى مذهب يعين على إخضاع الفكرة أو الإحساس باللّفظ، الذي هو ما يميّز الأدب عن غيره."[1]

ب.مفهوم النّقد:

_ لغة:

النّقد هو العملة النّقدية، جاءت بمجيء الإنسان، وله معان كثيرة منها:

_ "مأخوذ من نقد ينقد نقدا، وانتقادا وتِنقادا، فنقول نقد الصّيرفي الدّراهم والدّنانير، وانتقدها أي ميّز صحيحها من زائفها، وجيّدها من رديئها، ومن معانيه أيضا النّقاش، يقال: ناقد فلان فلانا في الأمر إذا ناقشه فيه."[2]

_ النّقد هو العيب والانتقاص، قالت العرب:"نقدته الحيّة إذا لدغته، ونقدت رأسه بأصبعي إذا ضربته، ونقدت الجوزة أنقدتها إذ ضربتها، وفي حديث أبي الدّرداء: إنّ نقدت النّاس نقدوك، ومعناه إن عبتهم وجرحتهم قابلوك بمثل صنيعك."[3]

_ النّقد هو فنّ تمييز الآثار الأدبية، وتقديرها وبيان ما يُداخلها من قوة وضعف، جمال وقبح، تقدم وتخلف.

_ التّمييز بين الدّراهم، أي تمييز الدّراهم عند العملة المزوّرة لكشف الدّراهم هل هي صحيحة أم زائفة. والنّظر في الشّيء والتمعّن فيه حتى تُكشف عيوبه.

_ يقال: انتقد درهما أي قبض.

_ اختلاس النّظر إلى الشّيء، أي النّظر إليه دون قصد.

_ اصطلاحا:

النّقد هو عملية وصفيّة تبدأ بعد عمليّة الإبداع مباشرة، وتستهدف قراءة "الأثر الأدبي ومقاربته قصد تبيان مواطن الجودة الرّداءة."

كما أنّه فنّ تقويم النّص الأدبي، يقوم به النّاقد ويُعطي أحكاما عليه بعد دراسته وتحليله وتفسيره، والقدرة على إصدار الأحكام الدّقيقة مع التّعليل، عن طريق تمييز الجيّد من الرّديء، والنّفيس من الخسيس، والجميل من القبيح من فنون القول، بالتّقدير الصّحيح للمنتوج الأدبي الذي يوضّح قيمته في ذاته، ودرجة جودته والعكس، من خلال دراسة أساليب الأديب وتعبيره سواء ارتبط ذلك بالتّأليف أو التّفكير أو الإحساس.

ت.مفهوم المنهج:

المنهج لغة هو الطّريق والسّبيل والوسيلة التي يُتدرّج بها للوصول إلى هدف معيّن، والمنهج النّقدي له مفهومان، أحدهما عام والآخر خاص.

أمّا العام: فهو يرتبط بطبيعة الفكر النّقدي ذاته في العلوم الإنسانية بأكملها، هذه الطّبيعة الفكريّة النّقدية أسّسها "ديكارت" على أساس أنّها لا تقبل أيّ مسلّمات قبل عرضها على العقل، ومبدأه في ذلك الشّك للوصول إلى اليقين. ولهذا فإنّ للفكر النّقدي سمة أساسيّة وهي أنّه لا يقبل القضايا على عِلّاتها انطلاقا من شيوعها وانتشارها؛ بل إنّه يختبرها ويدلّل عليها بالوسائل التي تؤدّي إلى التّأكد من سلامتها وصحّتها، وذلك قبل أن يتّخذ هذه القضايا أساسا لبناء النّتائج التي يُريد الوصول إليها.

---

[1]- ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النّقد الأدبي الحديث، الدّار المصرية واللّبنانية، ط1، القاهرة، ص292.

[2]- محمد طه الحاجري: في تاريخ النّقد والمذاهب الأدبية، ص7، 8.

[3]- محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النّقد الأدبي الحديث، ص11.

والخاص: فهو الذي يتعلّق بالدّراسة الأدبية وبطرق مُعالجة القضايا الأدبيّة، والنّظر في مظاهر الإبداع الأدبي بأشكاله وتحليلها. وهو بهذا المفهوم يتحرّك طبقا لمنظومة خاصّة تتألّف من مستويات مختلفة، لعلّ من أبرزها: مستوى النّظرية الأدبية. فكلّ منهج لابدّ له من نظريّة في الأدب، ونظرية الأدب هذه تطرح أسئلة جوهريّة، وتُحاول إقامة بناء متكامل للإجابة عن التّساؤلات، ونذكر أهمّها: ما الأدب؟، أي التّساؤل عن طبيعة الأعمال الأدبية وعناصرها وأجناسها وأنواعها وقوانينها. والسّؤال الثّاني: يرتبط بعلاقة الأدب بالمؤلّف والمجتمع، والحياة والكون والمتلقّي، أي علاقة المدوّنة الأدبية بما يرتبط بها وما يخرج عنها سواء أكانت العلاقة: محاكاة أو تخييلا أو انعكاسا أو علاقة انطماس عضوي أو ارتباط عضوي.

ث. علاقة الأدب والنّقد:

الأدب هو موضوع النّقد، وميدانه الذي يعمل فيه، وأدب كلّ أمّة هو المأثور من بليغ شعرها ونثرها، والأدب عمليّة خلق وإبداع وتجديد، ومنه ما يسمو صاعدا إلى الكمال، ومنه ما يقصر دون ذلك، والنّقد هو الذي يستكشف أصالة الأدب أو عدم أصالته، ويميّز بين جيّده ورديئه، وسواء كان النّقد علما أو فنّا؛ فإنّه ليس قائما بذاته؛ بل يتّصل بالأدب، فهو يستمدّ منه وجوده وحياته، ويسير في ظلّه، يرصد خُطاه واتّجاهاته وإن كان الأدب في طبيعته ينزع إلى الحريّة والتّجديد، واكتشاف آفاق جديدة ومختلفة، يحلّق فيها ويعبّر عنها؛ فإنّ النّقد على العكس من ذلك، إنّه مُحافظ مقيّد يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية، بقصد الكشف عمّا فيها من مواطن القوة والضّعف، والحسن والقبح وإصدار الأحكام عليها. إنّ العبقرية الخالقة هي التي تتقدّم دائما عن الطّريق كشفا وريادة، والنّقد يتبعها."[1]

ج. علاقة النّقد بالتّاريخ:

تلتقي فلسفة النقد الأدبي مع فلسفة التّاريخ الحديث، أو ما يمكن تسميته بـ"النّقد التّاريخي"، إذ لم يعد التّاريخ بحثا عن الامتداد الزّمني في الماضي، بوصفه إطارا لما وقع فيه من حوادث؛ ولكنّه أصبح كشفا عن القيم الإنسانية فيما تكشف عن هذه الحوادث من قوانين إنسانية محدودة بعواملها التّاريخيّة، وفي كلّ ذلك يُحاول المؤرّخ أن يستنبط قواعده من حقائق التّاريخ بوصفها حقائق موضوعية. "وبهذا يكون التّاريخ كشف عن قيم إنسانيّة في الماضي، والتي لا تكون موضوعية محضة؛ إذ تتطلّب شرحا وتأويلا، والحقائق التّاريخيّة فيها ليست إلّا باعثا لقضايا المؤرّخ، وفيها يعود المؤلّف من شروحه الصّادرة عن فهم للماضي إلى الحاضر، ليوسّع آفاقه وينمّي جوانبه، فتتولّد المعاني الإنسانية مجرّدة في عاقبة الأمر من معناها الزّمني، لتصير مقوّما من مقوّمات الحضارة أو قضيّة من قضايا الحاضر التي توجّه المستقبل؛ فتكشف بذلك الخصائص الدّائمة للوجود الإنساني."[2]

ح. نشأته:

لقد حظي المنهج التّاريخي مثله مثل أيّ منهج بمجموعة من الآراء، منها مجموعة المؤيّدين والرّافضين والمتوسّطين، واختلفت الأقوال بين القبول والرفض، فالمجموعة الأولى يرون فيه منهجا مُحاكيا لقوانين العلم وآليّاته، وبخاصّة في مجال الدّراسة العلميّة الأكاديميّة، التي تُخضع كلّ شيء للدّراسة والفحص والملاحظة، أمّا المجموعة الثّانية فينطلقون من الاعتراف بأنّ الخطاب

---

[1]- عبد العزيز عتيق: تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، ص10.

[2]- محمد غنيمي هلال: النّقد الأدبي الحديث، النّهضة المصرية للكتاب والنّشر والتّوزيع، مصر، ص12.

الأدبي ما هو إلّا بنية لغوية وعلاقات تشكيليّة جماليّة، أمّا المجموعة الثّالثة فيعترفون بالمنهج التّاريخي لما له من دور مهمّ في نظم الظّواهر الأدبيّة وتفسيرها."[1]

يُحتمل أن تكون نهايات الرّبع الأول من القرن العشرين، تاريخا لبداية ظهور النّقد التّاريخي في الوطن العربي مع "طه حسين" من خلال كتابه (ذكرى أبي العلاء)، الذي طبّق بعض ملامح ثلاثية "هيبوليت تين" على بعض النّماذج العربية كـ: (المعرّي، المتنبّي).

كما نجد"أحمد ضيف"(1880_1945م)، الذي كان يتزعّمه، وهو من أوائل المتخرّجين العرب في مدرسة "غوستاف لانسون"، وهو أول أستاذ للأدب العربي أوفدته الجامعة المصريّة الأهليّة للحصول على درجة الدّكتوراه من جامعة باريس. وقد حصل عليها برسالة عن بلاغة العرب في الأندلس، بالإضافة إلى مجموعة من الأسماء التي اهتمّت بهذا النّقد كـ"أحمد أمين"(1886_1954م) في سلسلة (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) وأيضا "العقّاد" في كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي). فيما راح غيره بعد ذلك ينهل من منهج "غوستاف لانسون".

ومن غريب المصادفات أن تكون سنة 1946م تاريخا لنهاية النّقد التّاريخي في فرنسا. وفي الوقت نفسه تاريخا لبدايته الفعليّة في النّقد العربي، حيث ظهر كتاب (النّقد المنهجي عند العرب) لـ"محمد مندور"(1907_1965). مذيّلا بترجمة بحث "غوستاف لانسون" سنة 1946م، الموسوم بـ:(منهج البحث في الأدب واللّغة). الذي أعاد "محمد مندور" طبعه سنة 1964م، وكان بذلك أول من أرسى المعالم النّقدية للّانسونية في الوطن العربي، لذلك شاع هذا المنهج على يد النّقاد الذين تتلمذوا على رموز المدرسة الفرنسيّة. وإثر ذلك أخذ النّقد التّاريخي يفعل فعله في الخطاب النّقدي العربي على المستوى الأكاديمي بوجه خاص.

أمّا بخصوص النّقد التّاريخي في الجزائر، فيمكن القول بأنّ هذا النّوع من النّقد كان البوّابة المنهجيّة الأولى التي فتح الخطاب النّقدي الجزائري عينه عليها، بداية من مطلع السّتينات من هذا القرن،"فكان مُزدهرا في كثير من الجامعات العربية على أيدي أشهر الأكاديميّين العرب، الذين تحوّلت أطروحاتهم الجامعيّة إلى معالم نقديّة، يقتفي آثارها المنهجية التّاريخية معظم طلبتهم. وتوارثها كلّ طالب عن أستاذه،حتى ترسّخ المنهج التّاريخي، ورسم ترسيما أكاديميّا _ يُوشك أن يبدو مطلقا _ وأصبح من المجازفة الأكاديميّة أن يفكّر الباحث الجامعي في بديل لهذا المنهج."[2]

وكلّ حديث عن المنهج النّقدي في الجزائر قبل هذه الفترة هو فيما نرى مجرّد حديث خرافة، على النّحو الذي نجده عند "عمار بن زايد"، الذي تحدّث خرافيّا عن المنهج التّاريخي ومناهج أخرى.

خ. مفهومه:

يعدّ المنهج التّاريخي أول المناهج النّقدية في العصر الحديث، وذلك لأنّه يرتبط بالتّطوّر الأساسي للفكر الإنساني، وانتقاله من مرحلة العصور الوسطى إلى العصر الحديث.

فالنّقد التّاريخي هو الذي يُحاول قبل كلّ شيء تفسير الظّواهر الأدبيّة والمؤلّفات وشخصيّات الكتّاب، فهو لا يعنى بالفهم والتّفهيم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة والتّمييز بين الظّواهر الأدبية والمؤلّفات أو شخصيّات الكتّاب، التي تتطلّب معرفة بالماضي السّابق ومعرفة بالحاضر (العصر)، الذي أثّر في المؤلّف والكتاب والأساليب. ثمّ إنّ النّقاد الذين يجنحون إلى هذا النّقد يؤمنون بأنّ كلّ تفسير من الممكن بعد ذلك أن يخرج منه القارئ بحكم لنفسه، يعني أنّ النّقد التّاريخي غايته قبل كلّ شيء هي إيصال الفكرة إلى الآخر، أي يفهم القارئ بدون ذكر الحكم.

---

[1]- بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النّقد المعاصر، ص46، 47.

[2]- يوسف وغليسي: محاضرات في النّقد الأدبي المعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004م/ 2005م، ص56.

يعرّفه "يوسف بكّار" بقوله:"هو منهج نقديّ يركّز على العلاقة المبنيّة بين العمل الأدبي والزمن الذي يُولد فيه، والبيئة التي يتشكّل فيها، فضلا عن العرق الذي ينتمي إليه مُبدع هذا العمل الأدبي، استخدم هذا المنهج في دراسة الأدب العربي، كما طبّق على دراسة شخصيّات أدبيّة، وقد ركّز على العناصر الرّئيسية الثّلاثة لدراسة الأدب وهي: البيئة (الوسط)، والعرق (الجنس)، والعمر (...) ومن أشهر روّاده: هيبوليت تين وسانت بيف وغيرهما."[1] أي أنّه يتّخذ من حوادث التّاريخ السّياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب، وتحليل ظواهره التّاريخيّة الخاصّة لأي أمّة، مع ذكر مجموع الآراء التي قيلت في أديب ما أو في فنّ من الفنون.

إنّه النّقد الذي يرمي قبل كلّ شيء إلى تفسير النّصوص الأدبية، تفسيرا مفصّلا وشاملا، لأنّه يتّخذ من حوادث التّاريخ السّياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب، وتعليل ظواهره أو البحث في التّاريخ الأدبي لأمّة ما، ومجموع الآراء التي قيلت في أديب ما أو في فنّ من الفنون."[2] بمعنى أنّ النّقد التّاريخي يُفيد في تفسير تشكّل خصائص اتّجاه أدبي ما، ويُعين على فهم البواعث والمؤثّرات التي أدّت إلى نشوء الظّواهر والتّيارات الأدبيّة المرتبطة بالمجتمع، انطلاقا من قاعدة أنّ الإنسان ابن بيئته وعصره.

د. سماته وخصائصه:

نجد من سمات ومميّزات النّقد التّاريخي ما يلي:

_ يقوم النّقد التّاريخي على ثلاثة أسس جوهريّة هي: الجنس، البيئة، الماضي (الزمكانيّة).

_ من أبرز سماته، أنّه يستعير مناهج العلوم التّطبيقيّة.

_ الاعتقاد بتطوّر الأجناس الأدبيّة وفق قوانين، لهذا فإنّ دراسة الظّروف الاجتماعية والإقليميّة والجغرافية، أمور لازمة لفهم العمل الأدبي.

_ الاعتقاد بوجود قوانين ثابتة لدراسة الأدب، ثبات قوانين الطّبيعة وهي تطبق على الأدباء، كما تطبق قوانين العلم على العناصر والجزئيّات والكائنات المدروسة.

_ يقع النّص المدروس تاليا لمؤلّفه، بمعنى أنّ المؤلّف ظلّ محور الاهتمام يُدرس من حيث لغته وجنسه، أصله وعصره، وتاريخه وبيئته، أما النّص فيبقيه المنهج التّاريخي قاصرا، فهو يدرس تاريخه تارة ومصادره تارة أخرى أو كيفيّة تطوّره، ويظلّ في الدّرجة الثّانية من حيث الاهتمام والعناية."[3] أي أنّ هذا المنهج يهتمّ بالمبدع على حساب مراعاة خصوصيّة النّص الأدبي ووظائفه الدّاخلية، فالنّص عنده عبارة عن مخطوط بحاجة إلى تحكيم وتوثيق.

_ الرّبط الآلي بين النّص ومحيطه السّياقي، ويُعتبر الأول وثيقة للثّاني.

_ الاهتمام بالمبدع والبيئة الإبداعيّة، على حساب النّص الإبداعي، وتحويل كثير من النّصوص إلى وثائق يُستعان بها عند الحاجة إلى تأكيد بعض الأفكار والحقائق التّاريخية. أي التّعامل مع النّصوص المدروسة على أنّها مخطوطات بحاجة إلى توثيق، مع محاولة تأكيدها بالوثائق والصّور والفهارس والملاحق، أي تأكيد الحقائق التّاريخيّة.

_ الثّقافة إفراز للبيئة، والبيئة من التّاريخ.

_ يعتمد على الوضوح والمباشرة وعدم المجاملة في نقد النّص الأدبي، أي نقد تفسيريّ جادّ.

_ التّركيز على المضمون وسياقاته الخارجيّة، مع تغييب واضح للخصوصيّة الأدبية للنّص.

_ المبالغة في التّعميم والاستقراء.

---

[1]- يوسف وغليسي: محاضرات في النّقد الأدبي المعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004/ 2005م، ص33.

[2]- يوسف وغليسي: النّقد الجزائري من اللّانسونية إلى الألسنية، ص67.

[3]- إبراهيم السّعافين وخليل الشّيخ: مناهج النّقد الأدبي الحديث، الشّركة العربية المستخدمة للتّسويق والتّوريدات، ط1، 2010م، ص460 .

_ النّقد التّاريخي يعدّ نقدًا استرداديّا، أي أنّه يعود إلى الماضي والحضارة العريقة وحقبات الزّمن الفائت.
_ هذا النّقد يقوم على التّأويل والتّنقيح والتّفسير، أي شرح المستويات الأعمق في النّص من خلال المعايير التي تحكم الأدباء، عن طريق سيرتهم الذّاتية والبيئة والزّمان.
_ هو النّقد الذي يمكّننا من دراسة المسار الذي سار فيه الأدب وكشف تحوّلاته عبر الزّمن، والتّعرف على ما يتميّز به أدبنا من خصائص وتطوّرات وأسس وقواعد.
_ يُساعد في التّعرف على تاريخ وتطوّر النّظم التي تُساعد في حلّ مشاكل معاصرة في خضمّ عبرات الماضي.
_ المنهج التّاريخي يتضافر مع عدّة مناهج كالمنهج المقارن، ويُساعد على إلقاء الضّوء على اتّجاهات حاضرة ومستقبليّة، وتقييم البيانات التي ظهرت في زمن ما ومكان ما ولظرف ما. أي أنّه يدرس النّص من خلال مصادره ومراجعه ومؤرّخيه وتواريخهم وتطوّراته عبر الزّمن، ومقارنته مع أعمال أخرى (الآداب المحلّية والعالميّة).
_ مهمّته تتمثّل في تبيين مدى تأثير العمل الأدبي على القرّاء من الزاوية التّاريخيّة. أي أنّه يعتمد على ما نسمّيه بسلسلة من المعادلات السّببيّة؛ فالنّص ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته والثّقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التّاريخ، ولهذا فالنّقد تاريخ للأديب، من خلال بيئته وجنسه وعصره وسلوكه وثقافته.
_ يعدّ النّقد التّاريخي كشفا للقيم الإنسانية والحقائق المرتبطة بالإنسان في الماضي، وهو الذي يكشف الخصائص الدّائمة للوجود الإنساني.
_ "الاهتمام بدراسة المدوّنات الأدبية العريقة الممتدّة تاريخيّا، مع التّركيز على أكثر النّصوص تمثيلا للمرحلة التّاريخيّة المدروسة، وإهمال التّفاوت الكبير بين أدباء يتّحدون في الزمان والمكان، كأنّ هذا المنهج عاجز بطبعه عن تفسير الفوارق العبقريّة بين المبدعين والنّقاد المنتمين إلى فضاء زماني موحّد.
_ هو الذي يرصد المؤثّرات المختلفة في الإنسان، من جسميّة ونفسية ووراثيّة، وفكرية ومادّية وأخلاقيّة وغيرها.
_ الازدهار في أحضان البحوث الأكاديميّة المتخصّصة التي بالغت في ارتضاءه منهجا واحدا لا يرتضي بدلا."[1]
_ المنهج التّاريخي شأنه شأن الخطوط الأوّلية في الرّسم، يُمحى عندما تكتمل الصّورة، إنّه بتعبير آخر"تمهيد لازم للنّقد الأدبي، ولكنّه لا يجوز أن نقف عنده مطوّلا، وإلّا كنّا كمن يجمع الحوادث الأوّلية، ثمّ لا يقيّم البناء، ومع القصور الواضح الذي يطبع المنهج التّاريخي، فإنّه يظلّ واحدا من أكثر المناهج اعتمادا في ميدان البحث الأدبي؛ لأنّه أكثر صلاحيّة لتتبّع الظّواهر الكبرى في الأدب، ودراسة تطوّراتها، إذ هو المنهج الوحيد الذي يمكّننا من دراسة المسار الأدبي لأيّ أمّة من الأمم، ويمكّننا من التّعرف على ما يتميّز به أدبنا من خصائص."[2]

ذ. قيمته وأهدافه:

بواسطة النّقد التّاريخي، يمكننا أن نفهم المبهم فيما نقرأه، فهو ينظّم النّص تنظيما يُخرجه من الفوضى التي ربّما كانت تسوده نتيجة لبعد العهد الذي كُتب فيه، وكثرة الآراء التي تضاربت في أصله وتفسيره، فمثل هذا الدّور كفيل باستخلاص النّص الأدبي من الفوضى وعدم الاستقرار ومن

[1]- يوسف وغليسي: النّقد الجزائري من اللّانسونية إلى الألسنية، ص67.
[2]- يوسف وغليسي: مناهج النّقد الأدبي، جسور للنّشر والتّوزيع، ط2، 2009م، ص15، 16.

الغموض الذي يعتري نسبته إلى قائله، وسلامته من الرّيبة والتّحريف، هو من غير شكّ له دور نافع وأصيل في ميدان النّقد؛ فكلّ ما يُكتب الآن يحفظ، بحيث لا يمكن أن يدمّر كما كان الحال بالنّسبة للشّعر القديم.

"ومن النّقاد من يعتقد أنّنا مُحتاجون في الحكم على الأثر الفنّي إلى التّاريخ، ومن هؤلاء نجد "إليوت" الذي يرى أنّ عمل الشّاعر لا يمكن أن يكون له معناه مُستقلّا عمّا سبقه؛ بل إنّ قيمة العمل الفنّي عند الشّاعر تقوم على تقديرنا لصلته بمن سبقه من الشّعراء. وهنا يجعل "إليوت" للمنهج التّاريخي قيمة أخرى، فهو عنده ليس قاصرا على تقويم النّص القديم وتحقيقه من النّاحية التّاريخيّة فحسب؛ وإنّما يتجاوز ذلك إلى النّاحيّة الجماليّة، فكلّ أثر فنّي عند هذا النّاقد تتوقّف قيمته على الوضع الذي يأخذه بالنّسبة إلى ما سبقه من آثار، بمعنى أنّ الحسّ التّاريخي الذي يتضمّن الإحساس بالماضي والحاضر، هو الذي يجعل الكاتب جزءا من الماضي، ويجعله في نفس الوقت يشعر بمكانته بالنّسبة لمن سبقوه ومن عاصروه محقّقا القيمة الجماليّة."[1]

يرمي النّقد التّاريخي إذن، إلى فهم العمل الأدبي من خلال استكناه السّياق الاجتماعي والثّقافي والحضاري، الذي أفرز السّياق المتضمّن بالضّرورة سيرة الفنّان ومُحيطه؛ فالهدف الرئيسي للنّقاد التّاريخيّين هو فهم مدى تأثير العمل الأدبي في القرّاء، فكما قال "إمبرت" عندما نسترجع الظّروف الأصلية التي أبدعت فيها قصيدة ما بواسطة البحث التّاريخي؛ فإنّ المنهج التّاريخي يجعل من الممكن أن نُعيد إبداعها في الحكم عليها. "إنّ المنهج التّاريخي يعلّمنا الحكم لأن يُستخرج من أعمال محدودة المستويات المطلوبة لتمييز الظّواهر الخاصّة بالفنّ، والظّواهر المتميّزة بالتّاريخ نفسه."[2]

يقول "سانت بيف":"فيما يخصّ النّقد الأدبي، يبدو لي أنّه لا يوجد ما هو أكثر أصالة ولذّة وخصبا في تنوّع المعلومات فيه _ أي النّقد التّاريخي _ من قراءة حياة عظماء الكتّاب، إذ أُجيد تأليفها (...) يتقمّص النّاقد مؤلّفه، ويعيش فيه، فيجعله يحيا ويتحرّك ويتكلّم، كما يجب أن يفعل، ويتتبّعه في دخيلة نفسه وفي عاداته وفي حياته السّابقة على التّأليف، مع ربطه من كلّ جوانبه بهذه الأرض، بهذا الوجود الواقعي، بهذه العادات اليوميّة، التي لا يقلّ تأثر عظماء النّاس بها عن تأثّرنا نحن."

لهذا اتّسم نقد "سانت بيف" بالكثير من الوضوح والصّراحة والصّرامة، وقد ابتعد عن المجاملة، خاصّة لما تحدّث عن معاصره النّاقد "فيلمان" Villemain(1790_ 1867م)، وهو واحد من روّاد الدّراسات الأدبية المقارنة في فرنسا. وقد طبّق "سانت بيف" المنهج التّاريخي على معاصريه من الأدباء أمثال: "فيكتور هيجو"و"راسين"و"شاتوبريان"[3] وغيرهم.

ر. وظيفته:

إنّ وظيفة النّقد الأدبي تكمن في تقويم العمل الأدبي من النّاحية الفنّية وبيان قيمته الموضوعية والتّعبيرية والشّعورية وتوضيح منزلته وآثاره في الأدب، كما أنّ النّقد يوجّه ويُثري الأدب، ويُعلي من منزلته في الحياة، ولا غنى للحياة ولا للأدب ولا للأدباء عنه، وهو الذي يخلق المناهج والمذاهب الأدبية، ويقوّم أعمال المؤلّفين، ويُوصي باختيار النّماذج الجيّدة من الأدب ومحاكاتها، ويغرس حبّ الجيّد منه في نفوس الدّارسين والنّاشئين، ويعوّدهم على مثل هذا الجيّد منه وفهمه وتذوّقه.

---

[1]- محمد زكي العشماوي: قضايا النّقد الأدبي بين القديم والحديث، كلّية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2009م، ص67.

[2]- طراد الكبيسي: مداخل في النّقد الأدبي، ص21.

[3]- أنظر: إبراهيم السّعافين: مناهج النّقد الأدبي الحديث، ص34، 35 .

ز. روّاده:

من بين الروّاد والنّقاد العرب الجزائريّين الذين ظهر على يدهم المنهج أو النّقد التّاريخي خلال سنة 1961م، نجد كتاب"أبو القاسم سعد الله"، الذي ركّز فيه على الشّاعر "محمد العيد آل خليفة" وهو في الأصل رسالة ماجستير، ومن بينهم أيضا "عبد الله الركيبي" و"صالح خرفي" و"محمد ناصر" و"عبد الملك مرتاض" و"زكي مبارك".

كما نجد من الرّواد الغربيّين الفرنسيين الذين تمثّلوا النّقد العلمي حينها، بحيث كان شكلا مبكّرا للنّقد التّاريخي عند"هيبوليت تين"(1828_ 1893م) في ثلاثيّته العتيقة، بحيث حدّد العناصر المؤثّرة في تطوّر الأدب والفنّ وهي: (العرق: أي الجنس والسّلالة والقوميّة)، ويُقصد به مجموع الاستعدادات الفطريّة التي تميّز مجموعة من النّاس انحدروا من أصل واحد، وهي تتجسّد في التّركيب العضوي للفرد، وفي مزاجه النّفسي واستعداده العقلي، فمثلا للجنس الأبيض صفاته البدنيّة وخصائصه العقليّة والنّفسية، وهي مُلازمة له حتى بعد أن غادر موطنه، وللأفارقة السّود صفاتهم وخصائصهم الملازمة لهم أيضا.

و(البيئة: الطّبيعيّة أو السياسية أو الاجتماعيّة)، وهي عوامل الطّبيعة والنّظام الاجتماعي والسّياسي، وهذا أمر كان عند النّقاد القدماء، وإن لم يأخذ عندهم طابع النّظرية، ولهذا لابدّ من مراعاة عامل البيئة، ومعرفة مدى أثره على الإبداع.

و(العصر أو الزّمان: آثار التقدّم السّابق وتطور المجتمع)، فالدّوافع الموجّهة للأدب من تراث الماضي أو الحركة المكتسبة من ثقافة الشّعب وتاريخه، وتأثير الماضي في الحاضر ومناصرته له، وهذا يعني أنّ المشكلة في تطوّر الأدب هي مشكلة تراتبيّة تتصاعد حركيّا بقوّة التّدافع كالسّيل أو النّهر في المنحدر[1]، وهذا يعني أنّ الإنتاج الأدبي على اختلاف أشكاله لدى أيّة أمّة، هو نتيجة ضروريّة يمكن تفسير عناصرها وطريقة تركيبها بالتّعرف على خصائص الجنس والبيئة وماضي هذه الأمّة.

بالنّسبة للنّاقد "تين" يعدّ المنهج التّجريبي هو الطّريقة العلميّة الوحيدة في نظريّته للوصول إلى الحقيقة، له كتاب (في الذّكاء)، ويعدّ النّاقد مؤسّسا للمدخل الجمالي في النّقد الأدبي.

[1]- مثلا: الرّسم كان دينيّا وأسطوريّا ثمّ تاريخيّا فواقعيّا، والقصّة بدأت ملحميّة أسطوريّة ثمّ خياليّة إنسانيّة ثمّ رومانسيّة فواقعيّة وهكذا. والمعروف أنّ الأسطورة والشّعائر الدّينية تقوم للشّعب مقام الحلم بالنّسبة للفرد، فهي مظهر من مظاهر الحضارة. ذلك أنّ القانون النّهائي للجميع هو قانون التطوّر الحتمي المرتبط بعوامل اجتماعية وطبيعيّة تحكم دورة الوجود والإمّحاء. يقول "جون كونستابل":"الرّسم هو علم البحث في قوانين الطّبيعة لم لا تكون المناظر الطّبيعيّة هي إحدى أفرع الفلسفة الطّبيعيّة التي تغدو الصّور هي تجربتها؟. ولا أعرف موضوعا قادرا على إثارة الحماسة الشّعرية والتّعبيرات الفلسفيّة والوجدان الأخلاقي أكثر من إبداعات الطّبيعة، فهي أساس التّقييم الخلقي والدّين، لأنّها ترمز إلى الحركات الدّاخليّة في شعورنا، وهي بيتنا ولا يلائم العقل سوى العالم الخارجي. لأنّ الهدف في النّهاية، هو ماقاله "ووردز وورث":"إيّاك أن تنسى أنّ كلّ كاتب عظيم من أجل أن يكون عظيما، كان عليه أن يبتكر أسلوبا يستعذبه جمهوره من القرّاء.

كذلك نجد النّاقد الأكاديمي الفرنسي الشّهير"غوستاف لانسون" Gustave Lanson (1857_1934م)، الذي يعدّ الرّائد الأكبر للمنهج التّاريخي في النّقد، وأصبح يُعرف كذلك بالانتساب إليه باسم (اللّانسونية)، فقد أعلن "لانسون" عن هويّته العلميّة ومنهج تاريخ الأدب، ثمّ أتبعها سنة 1910م بمقالته الشّهيرة (منهج البحث في الأدب واللّغة)، الذي دخل في معارك نقديّة ضاربة مع العميد الفرنسي الجديد "رولان بارت".

وقد اعتمد على عدّة مراحل في الدّراسة النّقدية التّاريخيّة، وهي:

_ إعداد النّص الأصلي.
_ تاريخ النّص الأصلي.
_ مقابلة النّسخ وتحليل المتغيّرات.
_ البحث عن الدّلالة الأوّلية أي: (المعنى الحرفي للنّص).
_ دراسة المصادر والمراجع والفهارس.
_ نجاح العمل الأدبي وتأثيره في المتلقّي.
_ تجميع المؤلّفات التي يمكن أن تكون متقاربة بشكلها أو محتواها.
_ دراسة الأعمال الأدبية الضّعيفة والمنسيّة حتى ينشئ تقويم أصالة الأعمال العظيمة.
_ التّفاعل بين الأدب والمجتمع."[1]

في المقابل نجد أيضا جهود النّاقد الفرنسي"سانت بيف" Sainte Beuve (1804_1869م)، الذي يمثّل مرحلة مهمّة في تاريخ النّقد الأدبي في الغرب، وهو من مؤسّسي النّقد الحديث في فرنسا وفي العالم، كان يبحث في الإنتاج الأدبي من حيث دلالته على المجتمع _ كما تُعلن الرومانسية[2] أنّ الأدب تعبير عن المجتمع وعلى مؤلّفه وأهمية الطّابع الذّاتي في الإبداع _ فقد اهتمّ هذا النّاقد بالعلاقة بين العمل الأدبي وصانعه، ورأى أنّ وظيفة النّقد الأدبي هي النّفاذ إلى المؤلّف، نجده يقول:"يجب أن يُؤخذ من دواة كلّ مؤلّف الحبر الذي يُراد رسمه به؛ لأنّ النّقد يعلّم الآخرين كيف يقرأون (...) إنّ أسرار النّص أو طبيعته تنكشف حين نُوازنه بنظائره لتتّضح خصائصه بتحديد الطّبيعة العامّة للأسرة الفكريّة التي ينتمي إليها." فهو يرى أهمّ سمات هذا المنهج تتمثّل في رغبته بالنّفاذ إلى روح الأديب المدروس، عن طريق رصد جميع المؤثّرات المختلفة فيه.

لقد ركّز النّاقد على شخصيّة الأديب تركيزا مُطلقا، إيمانا منه بأنّه"كما تكون الشّجرة يكون ثمرها"، وأنّ النّص تعبير عن مزاج فرديّ، لذلك كان وَلوعا بالتقصّي لحياة الكاتب الشّخصيّة والعائليّة، ومعرفة أصدقائه وأعدائه، وحالاته الماديّة والعقليّة والأخلاقيّة، وعاداته وأذواقه، وآرائه

[1]- يوسف وغليسي: النّقد الجزائري المعاصر من اللّانسونية إلى الألسنية، دار البشائر للنّشر والاتّصال، الجزائر، 2002م، ص19،20، 21، 22.

[2]- كانت الرومانسيّة هي التي تُبلور وعي الإنسان بالزّمن، وتصوّره للتّاريخ ووضوح فكرة التّسلسل والتطوّر والارتقاء، كما أنّ الرومانسيّة في الفكر النّقدي هي التي بدأت التّوجه إلى التّمثيل المنتظم للتّاريخ، باعتباره حلقة من التطوّر الدّائم، يتمّ فيها تصوّر الأدب باعتباره تعبيرا عن الفرد والمجتمع، أي التّعبير عن الحياة في تدفّقها وانهمارها. .

ومواقفه الشّخصية، وكلّ ما يصبُّ فيما كان يسمّيه (وعاء الكاتب)، الذي هو أساس مُسبق لفهم ما يكتبه وينقده.

س. نماذجه عند العرب:

من النّماذج التي نجدها تهتدي بمعطيات المنهج التّاريخي، نذكر دراسات "عبد الله حمادي"، التي كثيرا ما تنأى عن النّقد الأدبي، وتقترب من "التّاريخ وتاريخ الأدب". نلمس ذلك في كتابه (مدخل إلى الشّعر الإسباني المعاصر) الذي قدّم فيه بعضا من الوجوه الشّعرية الإسبانية المعاصرة، برؤية تاريخيّة لحياة هذه الوجوه في إطار التّاريخ الإسباني مع إسقاطه _ متى وُجدت الشّفرة النّصية _ على تاريخ العرب في الأندلس وكذلك كتاب (دراسات في الأدب المغربي القديم) التي اتّخذت من النّصوص الأدبية وثائق مهمّة للتّاريخ لبعض الظّواهر والأحداث كتاريخ الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف، وتاريخ سقوط غرناطة وأسبابه، ومن تلك النّماذج أيضا كتاب (شعر الثّورة) عند "مفدي زكريّا" لـ"يحي الشّيخ صالح" الذي وإن أفصح عن منهجه بأنّه" المنهج الفنّي بصورة عامّة، وإن كان يستفيد من نتائج مناهج أخرى كالمنهج النّفسي والمنهج التّاريخي."[1] إلّا أنّ الرؤيا التّاريخيّة ظلّت مُهيمنة عليه بمستويات تقلّ كثافتها، في حين كان لـ"عبد الملك مرتاض" باع مُعتبر في النّقد التّاريخي، استغرق مؤلّفاته النّقدية الأولى، ولا سيما بحوثه الجامعيّة، لعلّ أشهرها تمثيلا له:"(فنون النّثر الأدبي في الجزائر/ وفنّ المقامات في الأدب العربي/ ونهضة الأدب العربي المعاصر)، لكنّه سرعان ما ضرب صفحا عن هذا المنهج."[2]

ش. علاقة النّقد الحديث بالقديم:

إنّ النّقد الحديث هو التّقدير الصّحيح لأيّ أثر فنّي، وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنّسبة إلى سواه، ذلك أنّ كلمة النّقد في مفهومها العام والدّقيق هو الحكم وهو مفهوم نلحظه في كلّ استعمالات الكلمة، فالنّقد الحديث أيضا يخوض في دراسة جميع المجالات والميادين، ودراسة معمّقة في المعاني والأساليب وتمييزها.

أما النّقد القديم فهو مبنيّ على الفطرة السّليمة والذّوق، ففي القرن الرّابع الهجري ورغم وجود القوانين والقواعد الخاصّة بالنّقد، بقي الذّوق أهمّ معيار للنّقد، وكانت تهدف هذه القوانين إلى تمييز الأنواع الأدبية. فمثلا "عبد القاهر الجرجاني" الذي قال في عصره أنّ النّقد يجب أن يخضع للذّوق والفطرة والملكة الفنّية.

وفيما يخصّ العلاقة بينهما، فقد استعمل النّقد قديما وحديثا بمعنى واحد وهو التّحليل والشّرح والتّقويم والتّمييز والحكم،"فالنّقد عند كلّ من القدماء والمحدثين هو دراسة الأشياء وتفسيرها وموازنتها بغيرها المشابهة أو المقابلة لها، ثمّ الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها، وأكثر الذين كتبوا في النّقد، الذين مشوا على هذا المعنى."[3]

---

[1]- ينظر: يوسف وغليسي: النّقد الجزائري المعاصر من اللّانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثّقافة، ط2، 2002م، ص45.

[2]- يوسف وغليسي: النّقد الجزائري المعاصر من اللّانسونية إلى الألسنية، ص22.

[3]- محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النّقد الأدبي الحديث، ص9، 10.